أمريكا وعبد الناصر

الإمبراطورية الأمريكية

من نتائج الحرب العالمية الثانية انحسار نفوذ الاستعمار القديم (انجلترا – فرنسا) وبداية سطوع نجم الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى خَيِّرة – هكذا كانت تبدو حينئذ – تسعى لإنهاء الاستعمار القديم وتحرير شعوب الشرق الأوسط عن طريق التخلص من النظم الضعيفة الفاسدة بتدبير انقلابات سلمية أو عسكرية تطيح بها أو تعدل من سياستها، ثم الضغط من جهة أخرى على المستعمرين لتوقيع اتفاقيات جلاء عن هذه الدول ، مع السعي الحثيث لتسوية سياسية سلمية للصراع، كل هذا ، بهدف تحقيق مصالحها في المنطقة وأهمها:

١– إبعاد خطر الشيوعية عن المنطقة .

٢– السيطرة على البترول : تنقيباً ، واستخراجاً ، ومواصلات ، وفوائد أموال .

٣– ربط دول الشرق بها والدوران في فلكها ، مستخدمةً قوة السياسة بديلاً عن سياسة القوة .

٤– ضمان أمن إسرائيل .

مظاهر اهتمام أمريكا بمصر قبل ثورة يوليو

جاء اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالمشرق وخاصة مصر بإرسال مخابراتها للاتصال بالقوى الفاعلة في السياسة المصرية كالملك فاروق ، وبعض الشخصيات القوية كنجيب الهلالي ، ومرتضى المراغي ، وزكي عبد العال ، بغرض القيام بثورة سلمية تقضي على الفساد وتدعم النظام لإجبار إنجلترا على إبرام اتفاقية جلاء عن

مصر ، وإقامة تحالف قوي مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما فشل هذا المخطط واستمر النظام في مصر في الانهيار بعد حريق القاهرة ، وبدأ الضباط الأحرار في الظهور على سطح الحياة السياسية بعد نجاحهم الساحق في انتخابات نادي الضباط ، وتزايد نفوذهم بين ضباط الجيش – بدأت الولايات المتحدة – عن طريق المخابرات – في الاتصال بهم .

اتصال المخابرات الأمريكية بالضباط الأحرار

لم يجد قادة الضباط الأحرار وتحديداً جمال عبد الناصر بأساً في استطلاع رأي الولايات المتحدة الأمريكية في نظام الحكم في مصر ، وقد أثمر هذا الاتصال عن تقارب وجهتي النظر الأمريكية مع أهداف الضباط الأحرار ، فكلاهما يسعى لإصلاح أحوال البلاد التي وصلت إلي حد الانهيار ، وإقامة نظام قوي يستطيع أن يجبر إنجلترا على الجلاء ، ولا بأس في التحالف مع أمريكا إذا كان هذا في مصلحة البلاد فقد كانت أمريكا في ذلك الوقت زعيمة العالم الحر الرامي إلى تحرير البلاد من نير الاستعمار.

وفي ذلك يقول السادات : " فقد كانت صورة الأمريكان في أذهاننا مقترنة بحماية الحرية ومناصرة حركات التحرر". [١]

ويقول عبد الناصر : " أمريكا النهارده سُمعتها فى العالم مش زى سمعتها بعد الحرب العالمية التانية، بعد الحرب العالمية التانية العالم كله كان بيبص لأمريكا على إنها دولة طالعة حرة ذاقت الاستعمار وخلصت من الاستعمار وذاقت الحرية، وتقف فى العالم ضد الاستعمار وضد السيطرة." [٢]

يقول البروفسور ب. ج فاتكيوتس أستاذ العلوم السياسية في جامعة لندن في كتابه " جمال عبد الناصر وجيله : " من الطبيعي وجود علاقات رسمية بين أجهزة المخابرات

([1]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ١٢١.

([2]) من حديث للرئيس جمال عبد الناصر مع ممثلي أجهزة الإعلام العالمية والعربية بتاريخ ٢٨ / ٥/ ١٩٦٧/١٩. راجع خطب عبد الناصر على موقعه الرسمي على الإنترنت .

للدول الصديقة ، مصر والولايات المتحدة ، في ذلك الوقت ، وكان هناك أيضاً علاقات شبه مخابراتية بين الدبلوماسيين الأمريكيين في القاهرة والصحفيين المصريين (مثل : مصطفى أمين – أخبار اليوم ، وبالمثل بعض كبار رجال الدولة والوزراء مثل : حافظ رمضان ، ومرتضى المراغي ، مصطفى مرعي ، أحمد حسين ، السفير المصري في واشنطن) ، (وكان أحد الضباط الأحرار في المخابرات المصرية ، " عثمان نوري " يتتبع أخبار ومعلومات المتعاونين مع المخابرات الأمريكية) .

في البداية ، تبنى الأمريكيون إمكانية القيام " بثورة سلمية " بقيادة الملك فاروق بأمل إحباط أي انتفاضة شعبية متطرفة ذات توجهات وأهداف غير موثوق بها ؛ ففي بداية ١٩٥٢ ، تولى " كيرميت روزفلت " أحد كبار مسئولي المخابرات الأمريكية التخطيط لتنفيذ تلك المهمة الخاصة ، وعلى الفور ، أدرك أنها مهمة غير واقعية وغير ممكنة ، وحتى مارس ١٩٥٢ كان قد أقام اتصالات وثيقة ومحادثات استكشافية مع مبعوثي اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار ، بحلول مايو ١٩٥٢ ، أصبح روزفلت مقتنعاً بأن الضباط الأحرار سيقومون بثورة لن تهدد المصالح الأمريكية والغربية في الشرق الأوسط ، وأن الضباط الأحرار يجسدون البديل الوحيد الموثوق به لنظام الملك فاروق، ومن جانبهم ، اكتسب الضباط الأحرار حياد الأمريكيين تجاه محاولاتهم الاستحواذ على السلطة . [1]

دوافع عبد الناصر للاتصال بالمخابرات الأمريكية

وإذا كان الأمر كذلك ، وهو كذلك بالفعل، فإن اتصال عبد الناصر ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بالأمريكان يدل على حكمة وبعد نظر فكيف سيقوم بانقلاب عسكري لا يزيد أعضاؤه جميعاً عن مائة ضابط ، وهناك ٨٠ ألف جندي إنجليزي في القناة دون أن يطمئن إلى وجود قوة عظمى قادرة على تحييد إنجلترا وإجبارها على عدم

([1]) البروفسور ب. ج فاتكيوتس " عبد الناصر وجيله " ترجمة سيد زهران دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٠٣

التدخل ضد الانقلاب ، وبالطبع فإن هذه الشروط لا تتحقق إلا في الولايات المتحدة الأمريكية التي سعت إلى الاتصال بالضباط الأحرار ووعدتهم بالمساندة والتأييد إن هم نجحوا في القيام بأي عمل يهدف إلى إصلاح النظام أو تغييره .

اتصال الأمريكان بالضباط الأحرار سري للغاية

وهذا الاتصال الذي تمَّ بين المخابرات الأمريكية والذي بدأ منذ شهر مارس ١٩٥٢ لم يكن يعلم به إلا عدد محدود جداً من تنظيم الضباط الأحرار يأتي على في مقدمتهم جمال عبد الناصر رئيس لجنة القيادة ، فقد كان من مصلحة الطرفين المخابرات المركزية الأمريكية ، والمتصلين بها من الضباط الأحرار إبقاء الأمر سريّاً للغاية فبالنسبة للمخابرات الأمريكية لا تريد إفشاء هذا الاتصال حتى تستطيع أن تتمكن من الاتصال بكافة الأطراف الفاعلة في السياسة المصرية فهي لا تريد أن تضع البيض كله في سلة واحدة [١] فهي تتصل بالملك وتحاول إصلاح نظامه ، وتتصل بقوى سياسية أخرى بغرض إقامة ثورة سلمية لتدعيم النظام ، وتتصل بالضباط الأحرار وتؤيدهم في أهدافهم ، فهي تحاول في عدة اتجاهات والاتجاه الذي يُكْتَب له النجاح ويحقِّق لها مصلحتها تعلن تأييدها له ، فهي تسابق الزمن لقطع الطريق على قيام ثورة شيوعية تابعة لعدوها اللدود الاتحاد السوفيتي وتنقلب مصر، قلب العالم العربي ، على إثرها من حليفة إلى عدوة ، وقد كانت في مصر تنظيمات شيوعية أشهرها تنظيم " حدتو " [٢] كذلك كانت أمريكا تخشى من ثورة إسلامية تقوم بها جماعة الإخوان المسلمين التي إن تمكنت من الوصول إلى الحكم فإن بإمكانها استقطاب كافة الدول العربية والإسلامية وتكوين جبهة قوية تقف في وجه المطامع الإمبريالية وخاصة الأمريكية .

([1]) هذا المثل مثل أمريكي ، وهو الحاكم في السياسة الأمريكية إلى اليوم .

([2]) جماعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني " حدتو " الشيوعية . كانت أكثر الحركات الشيوعية ارتباطا بالواقع وانتشارا بين التجمعات الجماهيرية وكانت لها صحيفة (أم درمان) العلنية وكانت الأفكار اليسارية التي حرصت هذه الحركة على نشرها في صفوف العمال والطلبة والمثقفين تتحدث عن السياسة الخارجية والداخلية لمصر ، وكانت تهاجم الأحلاف زعامة أمريكا ، وتؤيد الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشرقية .

وأمريكا تعلم جيداً مدى تأثير الدين في نفوس المسلمين ، ومدى حبهم لدعاته ، كما تعلم مدى قوة تنظيم الإخوان المسلمين المتغلغل في كافة ربوع مصر ، والذي يمتد نفوذه إلى دول عربية أخرى .

أسباب إخفاء عبد الناصر الاتصال بالمخابرات الأمريكية عن الضباط الأحرار

أما بالنسبة لمن اتصل بالمخابرات الأمريكية من الضباط الأحرار فكان حريصاً أيضا على إخفاء هذا الاتصال حتى عن أعضاء لجنة قيادة التنظيم ليضمن تماسك التنظيم فإن معرفة الضباط بهذا الاتصال قد يلقى اعتراضاً إما بدوافع وطنية أو دوافع أيديولوجية أو دوافع تنظيمية ، فالدوافع الوطنية ترى أن الاتصال بالأمريكان يتناقض مع الروح الوطنية فكيف أستعين بالأجنبي للإطاحة بنظام مصري كما أن أحوال مصر أمْرٌ داخلي لا ينبغي أن تتدخل فيه قوى خارجية ، والحكمة التي تسير عليها الأمة العربية حتى يوم الناس هذا تقضي بأن الحاكم المسلم الفاسد المستبد خير من الأجنبي وإن عدل وأصلح ؛ فطاعة ولي الأمر المسلم فريضة ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩]

والاستعانة بغير المسلم على المسلم حرام . وقتال المسلم أخاه كفر ، وسبابه فسوق قال السندي: قوله: "كفر" أي من أعمال أهل الكفر فإنهم الذين يقصدون قتال المسلمين .

أما الدوافع الأيديولوجية فتتمثل في أن الضباط الأحرار كانوا أخلاطاً ذوي مشارب مختلفة فمنهم شيوعيون أعضاء في تنظيم حدتو الشيوعي (مثل : خالد محيي الدين ويوسف صديق وأحمد حمروش وأحمد أنور وغيرهم) الذي يتناقض بالكلية مع السياسة الأمريكية ، ومنهم إخوان مسلمون (مثل : عبد المنعم عبد الرءوف ، وكمال الدين حسين ، وحسين حمودة وغيرهم) لديهم أجندة خاصة من ثوابتها العداء التام للصهيونية العالمية التي تعد أمريكا الراعية الرسمية لها ، والقضاء على الكيان الصهيوني (إسرائيل) الذي تعد أمريكا أكبر حلفائه.

أما الدوافع التنظيمية فتقضي بأن التنظيم الصغير إذا تحالف مع تنظيم أكبر منه أصبح تابعاً له ، وسائراً في ركابه ، وبالتالي فإن تنظيم الضباط الأحرار سيخرج عن أهدافه الوطنية ليدافع عن أهداف الإمبريالية الأمريكية ، ويفسح لها المجال لتقوية نفوذها في الشرق الأوسط ، وإن تلاقت أهداف الطرفين في نقطة فحتماً فستفترق بعد ذلك في نقاط .

لكل هذه الأسباب ظل أمر اتصال الضباط الأحرار بالمخابرات الأمريكية أو بالأحرى اتصال رجال المخابرات الأمريكية بالضباط الأحرار سريّاً للغاية .

وهذا يفسر لنا انقسام الضباط الأحرار حول حقيقة هذا الاتصال فبعض الضباط الأحرار يؤكد هذا الاتصال مثل: محمد نجيب ، وخالد محيي الدين ، وأحمد حمروش، وحسين حمودة ، حسن التهامي ، وغيرهم ، والبعض الآخر ينفي بشدة أية اتصالات بالأمريكان قبل قيام الانقلاب مثل : جمال حماد ، وعبد المنعم أمين ، وحسين الشافعي ، وغيرهم .

تحرير موضوع الخلاف حول اتصال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية

ونحن إزاء روايتين مختلفتين تماماً : رواية تثبت اتصال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية قبل ثورة يوليو ، ورواية تنفي ولو طبقنا مبدأ علماء المسلمين في هذا الموضوع الذي يقول : " إِنَّ اَلْمُثْبِتَ مُقَدَّمٌ عَلَى اَلنَّافِي" فإننا نقدم رواية المُثْبِت ، ونؤكد على أن اتصالات سرية للغاية تمت بالفعل بين بعض رجال المخابرات الأمريكية وبعض الضباط الأحرار.

يقول ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري :

" بَاب إِذَا شَهِدَ شَاهِدٌ أَوْ شُهُودٌ بِشَيْءٍ وَقَالَ آخَرُونَ مَا عَلِمْنَا ذَلِكَ يُحْكَمُ بِقَوْلِ مَنْ شَهِدَ قَالَ الْحُمَيْدِيُّ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ بِلالٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي الْكَعْبَةِ وَقَالَ الْفَضْلُ لَمْ يُصَلِّ فَأَخَذَ النَّاسُ بِشَهَادَةِ بِلالٍ فَأَنَّ اَلْمُثْبِتَ مُقَدَّمٌ عَلَى اَلنَّافِي وَهُوَ وِفَاقٌ مِنْ أَهْلِ اَلْعِلْمِ". [1]

([1]) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري " ج٨ ص ١٤٦.

فإذا كان من الضباط الأحرار من يجزم بأن ثمة اتصالات بالأمريكان تمت قبل انقلاب ٢٣ يوليو فهو صادق شهد هذا بنفسه أو حدَّثه من يثق في روايته ممن شهد، ومن يقطع بعدم حدوث ذلك فهو صادق أيضاً فهو لم يشهد ولم يسمع ؛ فقد كان الأمر سريّاً للغاية كما وضَّحنا .

أما اتصال الضباط الأحرار بالأمريكان فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فهو محل اتفاق من كل الضباط الأحرار والمؤرخين وليس ثمة خلاف حول هذه النقطة .

لقد أطلنا الكلام حول هذه القضية ولم نوثق الكلام بأية أدلة عليه كما هي عادتنا لذا سوف نسارع بسوق الأدلة على ما سبق ذكره .

طريقة السياسة الأمريكية في إدارة الصراع

من الأساليب التي تتبعتها السياسة الأمريكية الاتصال بكافة القوى الفاعلة في كل بلد بطريقة رسمية كانت أو غير الرسمية ، كذلك توزيع الأدوار على أكثر من جهة فهناك اتصالات عن طريق رئيس الجمهورية ، واتصالات تجري عن طريق المخابرات المركزية الـ (CIA) ، وثالثة عن طريق وزارة الخارجية ، والسفارات، ورابعة عن طريق وزارة الدفاع ، وخامسة عن طريق بعض الساسة ورؤساء الأحزاب ، وسادسة عن طريق وفد من أعضاء الكونجرس ، ... وتصب هذه التقريرات في البيت الأبيض حيث تدرس نتائج هذه الاتصالات في مطبخ الرئاسة ويتخذ القرار بناء عليها .

فليس هناك مصدر واحد للمعلومات كذلك ليس هنا جهة واحدة منوط بها الاتصال، وليس شرطاً أن أصحاب هذه الاتصالات يكونون على علم باتصالات الجهات الأخرى ولا بما يجري مع الأطراف الأخرى ، لذا فقد يحدث أن تقرير وزارة الخارجية يذكر معلومة ، يجهلها تقرير المخابرات المركزية أو العكس فكل يعمل بشكل مستقل إنما الذي ينسق بين هذه التقارير هو مطبخ الرئاسة وصاحب القرار ، وهذا ما يوقع في تناقض الروايات فبعض الكتَّاب يريد أن يثبت صحة رأيه فيستشهد بتقرير جهة من

هذه الجهات زاعماً أن هذا التقرير يمثل السياسة الأمريكية في حين أنه لا يمثل إلا ذراعاً واحداً من أذرع الإخطبوط الأمريكي . تماماً كما يحلو لبعض الكتَّاب أن يتصيد عبارة في مقال من هنا وجملة في تصريح من هناك ليثبت صحة رأيه ، ويبني على هذه المقتطفات أحكاماً عامة تختلف تماماً مع السياسة الحاكمة .

يقول حسنين هيكل : " إن أميركا ممكن تتصرف بالخارجية وممكن تصرف بالبيت الأبيض ، وممكن تتصرف بالبنتاجون بوزارة الدفاع ، وممكن تتصرف بالمخابرات لكنه هذه السياسات كلها أو هذه الجهات كلها تتحرك على تنويعات مختلفة على نفس السياسات بمعنى إنه لا يمكن إن وزارة الخارجية تشتغل بطريقة تتناقض مع البيت الأبيض ولا يمكن البيت الأبيض يعمل سياسة تتناقض مع الـ (CIA) قد تختلف التنويعات لكن النغمية الرئيسية هي هي وكله يتحرك عليها، الـ (CIA) موجودة في ذلك الوقت في مصر وكيرمت روزفلت موجود في مصر وأنا قلت إني شوفته كذا مرة في هذا الوقت، لكنه الـ (CIA) في ذلك الوقت مندوبيها كانوا اثنين كيرمت روزفلت موجود واضحاً وهو يتحرك مسئول عن الشرق الأوسط وبيروح يشوف الملك فاروق ويشوف نجيب الهلالي ويشوف حسين سري وصلته الرئيسية معقودة مع كريم ثابت حتى مع خوفه من كريم ثابت وتأثيرات نصائحه على الملك " [1]

ونحن نتفق مع هيكل في حقيقة اتصاله بالمخابرات الأمريكية هو وغيره قبل ثورة يوليو ، ولكننا نختلف معه في أن هذه التنويعات التي تحدث عنها كانت على نغمة واحدة ، إنما الحقيقة أن لدى السياسة الأمريكية عدة نغمات أو سيناريوهات مختلفة وإن كان هدفها واحد وهو خدمة المصلحة الأمريكية فهناك فرق بين وحدة الهدف، وبين اختلاف الوسائل ، فأمريكا كان عندها هدف واحد وهو مد نفوذها إلى أكبر عدد ممكن من بلاد العالم وخاصة الشرق الأوسط وسبق الاتحاد السوفيتي في ذلك، أما وسائلها في ذلك فمختلفة ، فقد تعمل على إخضاع نظم هذه البلاد عن طريق الغواية أو التهديد ، فإن فشلت سعت إلى إحداث تغيير هذه النظم بطرق سلمية أو انقلابية

([1]) حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢.

فإن فشلت تعمل على مقاومة امتداد النفوذ السوفيتي إليها ، وأحياناً تسير هذه السيناريوهات متوازية إن كان عنصر الزمن حاكماً كما هو الحال في حالة مصر بعد حريق القاهرة .

الخطة الأمريكية لقيام ثورة سلمية في مصر

كانت السفارة الأمريكية قد نشطت في الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين في محاولة لاجتذابهم إلى صفها، كان حافظ رمضان لا يخفي صلته بالأمريكيين ، ويقول فتحي رضوان : إن حافظ رمضان كان يتصل بمستر ايرلاند مستشار السفارة الأمريكية بأمل الضغط على البريطانيين ، كما صرح عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية بقوله : " إننا على استعداد للتآلف مع أمريكا " .

ويقول مصطفى مرعي : إن الأمريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رَفَضَهَا ، قال لهم إنه ضد الملك وليس ضد النظام ، وأنه مع الديمقراطية وضد الحكم الفردي ، ورفض اقتراحاً خاصاً بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي ، وأبلغهم أنه يفضل تطوير قانون عضو الشيوخ محمد خطَّاب بحيث يضطر من يملك أكثر من ٣٠٠ فدان إلى بيعها .

ويدل اتصال الأمريكيين بمصطفى مرعي على أنهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه لتنافره مع الديمقراطية ، ولتشجيعه للإصلاح الزراعي بطرق غير دستورية ، وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض إنجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للإمبريالية الممهدة للديمقراطية الشعبية .

وكان أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية في وزارة الوفد الأخيرة والذي استقال منها في صيف ١٩٥١ [1] هو أحد أصفياء السياسة الأمريكية يدعو لسياسة إصلاح اجتماعي تتفادى خطر الثورة ، وقد اقترح على " علي ماهر " أن يطلب إلى الملك ،

---

(١) عين أحمد حسين بعد ثورة ٢٣ يوليو سفيراً لمصر في واشنطن !!!

مكافحةً للشيوعية وتصفيةً للسخط الشعبي ، إعلان تنازله عن أملاكه أو نصفها للشعب مثلما فعل شاه إيران فيما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك ،كما أنه اعتذر عن عدم الاشتراك في وزارة علي ماهر عندما عارض في رفع شعار " التطهير قبل التحرير " [1] .

كان أحمد حسين يؤدي دوراً نشطاً بين الساسة المشتغلين بدعوى محاربة الفساد ، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالي واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

كان أحمد حسين يهدف مع المبعوثين الأمريكيين الذين تركزوا في القاهرة إلى تنظيف ثوب الحكم الملوث ، ورتق ثقوب النظام المتفسخ عن طريق فصل بعض رجال الحاشية ، وتشكيل وزارة لا يتدخل الملك في اختيار أعضائها ، على أن يصدر الإنجليز إعلاناً بالجلاء من طرف واحد ثم يجري تطهير الأحزاب بعد ذلك.

وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة لمساندة النظام ، ووقع الاختيار على نجيب الهلالي الوفدي السابق ذي المواقف السابقة الشجاعة في مواجهة الملك ، المشهور بنزاهته وصراحته ، ولكنه أمام تكليفه بتشكيل الوزارة تغاضى عن المبادئ المتفق عليها ، وقبل وزراء الملك مرتضى المراغي وزكي عبد العال ولم يتعرض لرجال الحاشية بسوء ، واكتفى بالحديث عن التطهير قبل التحرير مما دفع أحمد حسين إلى الاعتذار عن عدم الاشتراك في وزارة كان هو شخصياً أحد المخططين لتكوينها ، وأحد وسائل الاتصال بين رئيسها وبين الأمريكيين خلال عام ١٩٥١ .

ولم تنجح وزارة نجيب الهلالي في تنفيذ المخطط الأمريكي ؛ لأن الملك ظل سائراً في عبثه ، مطمئناً إلى سطوته بعد إقالة الحكومة الوفدية ، معتمداً على حسن صلاته بالإنجليز والأمريكيين معاً . [2]

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨٥ .
(2) نفسه ص ١٨٦ .

أمضى روزفلت [1] (الضابط المعروف في المخابرات المركزية الأمريكية) في القاهرة الشهرين الأولين من سنة ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) وذلك بأن دفعا رجلي الحكم القويين : مرتضى المراغي ، وزكي عبد المتعال لخلق أزمة وزارية بينما أوعز الملك إلى البوليس السري لجمع الأدلة والوثائق ضدهما ليثبت حين تحين الفرصة أنهما عميلان للمخابرات الأمريكية ، ثم قام الملك بتكليف نجيب الهلالي ذي الشهرة الواسعة والسمعة الجيدة بتولي مهام رياسة الوزراء ، ولكن الملك لم يستدعه بلباقة كافية مما جعل الهلالي يرفض تسلم الوزارة حتى اتصل به روزفلت سراً وأسرَّ له بأنه إذا لم يتسلم رئاسة الوزراء ويقوم بتطهير الدولة من المرتشين والفاسدين ويكون رائداً للثورة السلمية ، فإن الثورة لن تبقى سلمية أبداً . [٢]

وهكذا يفسِّر مايلز كوبلاند (ضابط المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط في الخمسينيات والستينيات) في كتابه "لعبة الأمم" موقع وحركة مرتضى المراغي وزكي عبد العال ويلقي الضوء على حقيقة الدور الذي كان مفروضاً أن يؤديه نجيب الهلالي ويكشف محاولة التمسك بثورة سلمية تحاشياً لثورة غير سلمية.[٣]

ويؤكد حسنين هيكل هذه المخطط الأمريكي للقيام بثورة سلمية تُدعَّم نظام الملك المتداعي فيقول : " مشروع مرتضى المراغي الحصان الأسود الرجل القومي هو اللي يأتي ويعمل نوع من الإصلاحات تبتدئ بموضوع توزيع أراضي الدولة نوع من الإصلاح الزراعي بشكل آخر على النسق الذي نصحوا (الأمريكان) به في إيران " [4]

([1]) هو المستر كيرميت روزفلت – وهو حفيد لتيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن العشرين كما أنه قريب وثيق لفرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقت الحرب في الثلاثينات وبداية الأربعينات – وكان كيرميت مُطَّلعاً على أحوال الشرق الأوسط منذ عمل لحساب المخابرات الأمريكية فيه وقت الحرب العالمية .

([2]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير . انترناشنال سنتر – بيروت ص ٨٥.

([3]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ١٨٧.

([4]) حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢.

هيكل وكوبلاند ولعبة الأمم

وقبل الاستطراد في بحث الثورة السلمية التي حاولت أمريكا القيام بها ، وعلى ذكر اسم كوبلاند وكتابه لعبة الأمم لابد أن نذكر رأي الناصريين في كوبلاند وكتابه.

لقد أثار الناصريون عديداً من الشكوك حول كتاب " لعبة الأمم " وكاتبه "مايلز كوبلاند " وكان على رأس هؤلاء المشككين حسنين هيكل ويرجع السبب الرئيسي وراء هذا التشكيك هو اعتراف كوبلاند بكل وضوح وجلاء بعلاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية قبل الثورة وتحديداً منذ شهر مارس ١٩٥٢ وأن هذه العلاقة قد استمرت لسنوات طويلة بعد الثورة ، وأن تلك العلاقة كانت وراء عدم تدخل الإنجليز لإحباط الانقلاب وإنقاذ الملك بل كانت وراء تنازل الملك عن الحكم ومغادرته البلاد ، وتوقيع الإنجليز معاهدة الجلاء والرحيل عن مصر ، كما أنها ساهمت في وصول عبد الناصر لحكم مصر ، وإفشال العدوان الثلاثي والتمكين لعبد الناصر كزعيم للعرب . ولقد أكد هذه العلاقة كثير من الكتاب المصريين من الضباط الأحرار مثل : خالد محيي الدين ، وأحمد حمروش ، وحسن التهامي ، وحسين حمودة وكلهم من الضباط الأحرار الذين لا يُشَك في حبهم لعبد الناصر ولا في ولائهم له كما اعترف بذلك أيضاً الرئيس محمد نجيب ولقد استشهد أحمد حمروش – وغيره من المؤرخين – أحد أهم مؤرخي ثورة يوليو الناصريين بأكثر ما استشهدنا به وهذا اعتراف منه – وهو المؤرخ المدقق – بصحة ما جاء في كتاب لعبة الأمم أو على الأقل بصحة ما استشهد به من هذا الكتاب .

رسائل كوبلاند لعبد الناصر

الشكوك التي أثارها هيكل حول كوبلاند وكتابه تركزت في عرضه لرسائل كوبلاند التي أرسلها إلى الرئيس عبد الناصر أو إليه عارضاً بعض الخدمات أو طالباً بعض المساعدات في إقامة بعض المشروعات الاقتصادية الخاصة به في مصر ، أما

رسائله إلى هيكل الخاصة بكتاب " لعبة الأمم " فيذكر هيكل أنه جاء في رسالة كوبلاند المؤرخة بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٩٦٩ ما نصه " إنه كَتَبَ كِتَاب " لعبة الأمم " ووضع فيه وقائع يعرف أنها غير صحيحة ، لكنه وَضَعَهَا لكي يزيد من مصداقيته في الصحافة الأجنبية " .

ورسالة أخرى بتاريخ ١١/٢٦/ ١٩٦٩ يعرض كوبلاند فيها على هيكل تغيير ما يراه في كتابه " لعبة الأمم " .

وثالثة بتاريخ ٦/ ٤ / ١٩٧٠ بشأن ترجمات كتابه التي نشرت في بيروت دون تصريح منه . [١]

ولم يشأ هيكل أن يتتبع ما جاء في كتاب كوبلاند من معلومات يرى عدم صحتها ويسوق الأدلة على بطلانها إنما اكتفى بعرض بعض رسائل كوبلاند وتجاهل ما جاء في كتاب كوبلاند من حقائق ووقائع ومعلومات ، وكان أولى بهيكل رصد الأخطاء التي يرى أن كوبلاند وقع فيها ولا سيما أن كوبلاند عرض عليه أكثر من مرة أن يرسل له نسخة من الكتاب لمراجعتها ، واقتراح ما يراه من تعديل ؛ فقد كان كوبلاند صديقاً لعبد الناصر وهيكل لسنوات طويلة وجمعته بهما لقاءات كثيرة جداً لدرجة جعلت كوبلاند يقول : " لقد كان احتكاكي بعبد الناصر على مر السنين أكثر من أي إنسان غربي آخر ". [٢]

الأدلة على صحة ما جاء في كتاب " لعبة الأمم "

ما كان لكوبلاند أن يتجاوز الحقائق في كتاب كتبه في حياة عبد الناصر ، وعرض على مستشاره أن يرسل له نسخة لمراجعتها حرصاً على استمرار علاقته الطيبة بعبد الناصر وهيكل التي تؤكدها رسائله ، ورغبة في استثمار هذه العلاقة في إقامة بعض المشروعات

([1]) راجع حسنين هيكل " سنوات الغليان " دار الشروق ص ٩٤٦.

([2]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير . انترناشنال سنتر – بيروت ص ١١٢.

الاقتصادية الخاصة به في مصر ، فهل يُعْقَل والحال هذه أن يضمِّن كتابه معلومات ووقائع مخالفة للحقيقة وهو رجل المخابرات الأمريكية المسئول ، والصديق الحميم لعبد الناصر وهيكل .

ولقد تحدَّث كوبلاند عن مسئولين أمريكيين كانوا أحياء عند صدور الكتاب ، وروى عنهم وهؤلاء المسئولون لهم أجهزة مهمتها الرد على كل حرف خاطئ يتعلق بهم ، وهل يُعْقل أن يُصْدِر موظف كبير في وزارة الخارجية والمخابرات مثل مايلز كوبلاند كتاباً في أمريكا ينسب فيه لقاءات وأحاديث واجتماعات لكبار المسئولين الأمريكيين ، كلها من نسج الخيال أو يزيف ما جرى فيها ، ولا يصدر تعليق في هذه الوقائع الأساسية ، وإن كان أكثر من مصدر قد صحح له وقائع تفصيلية .

ولولا أنه كان موظفاً في المخابرات الأمريكية – وليس عميلاً – لما كان لكتابته أو شهادته هذه الأهمية ، التي تنبع فقط من أنه موظف في المخابرات الأمريكية . [1]

تحريف هيكل رسائل كوبلاند

أما ما جاء في إحدى رسائل كوبلاند لهيكل ويذكر فيها أنه "وضع في كتابه وقائع يعرف أنها غير صحيحة " فهذه الجملة غير موجودة في النص الأصلي للرسالة المؤرخة بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٩٦٩ إنما جاء فيها " وعلمت أن بعض أصدقائي المصريين وأنت (يقصد هيكل) منهم يظنون أن كتابي " لعبة الأمم " والبرامج الإذاعية التي ارتبطت به وغيرها من الأنشطة المتصلة بذلك كلها معادية لمصالح الجمهورية العربية المتحدة وهو أمر غريب لأن الصهيونيين ومن يتعاطفون مع الصهيونية سواء في انجلترا أو الولايات المتحدة يصرون على أن كتابي جزء من مؤامرة موالية لعبد الناصر ، وأنه دعاية ماكرة مؤيدة لعبد الناصر ، وذلك في الواقع هو المقصود به ، وأنت من خبرتك الطويلة بي تعرف عني شيئين:

([1]) محمد جلال كشك " كلمتي للمغفلين " الزهراء للإعلام العربي ط الثالثة ص ٢١ .

الأول أني لا يمكن أن أحرِّك أصبعاً بما يمس مصر دون أن أتأكد أولاً عن طريق شخص مسئول أن ما سأقدم عليه لا ضرر منه .

والثاني : أني عندما أعرض اقتراحاً يتصل بعملي على شخص مسئول لا أطلب منه أن يعتمد ذلك العمل أي إنني لا أطلب منه أن يشترك معي في المسئولية." [1]

هذا هو نص الرسالة التي يستشهد بها هيكل كما ذكرها هيكل نفسه في كتابه سنوات الغليان وهي تثبت افتراءه على كوبلاند وعلى الحقيقة والتاريخ . فالرسالة تؤكد تحرِّي كوبلاند الحقيقة في كتابه خاصة فيما يخص مصر وهو يتحمل مسئوليته ما يكتب ، وهاتين الحقيقتان يعرفهما هيكل جيداً ، ومع ذلك كوبلاند يذكره بهما ثانية ، ومع كل ذلك يُحرِّف هيكل نص الرسالة ويفتري الكذب على كوبلاند وينسب إليه أنه : "وضع في كتابه وقائع يعرف أنها غير صحيحة " !!

وأخيراً فإن كتاب " لعبة الأمم " لم يكن هو الكتاب الوحيد الذي أكد الصلة الوثيقة بين جمال عبد الناصر والمخابرات المركزية الأمريكية قبل ثورة يوليو وبعدها بل هناك عشرات الكتب الغربية بصفة عامة والأمريكية بصفة خاصة أكدت هذه العلاقة هذا بخلاف المصادر العربية ، وسأذكر عدداً منها عند بحث علاقة أمريكا بعبد الناصر قبل الثورة وبعدها.

وعلى العموم فإني لن ألجأ للاستشهاد بكوبلاند وكتابه إلا في المعلومات التي أكدتها الوقائع والأحداث.

رواية حسن التهامي حول كتاب كوبلاند " لعبة الأمم "

يقول حسن التهامي الذي كان منسِّقاً لكثير من لقاءات كوبلاند مع عبد الناصر، كما كان شريكاً فيها وشاهداً عليها : " عقب صدور كتاب لعبة الأمم أتصل بي عبد

([1]) راجع حسنين هيكل " سنوات الغليان " دار الشروق ص ٩٥٢.

الناصر تليفونياً وبادرني بقوله: يا حسن دول عايزين يحطموك. وكنت إلى ذلك الحين لا أعلم عن صدور الكتاب في الوقت الذي أتم عبد الناصر فيه قراءته.

فقلت له مستفسراً: من هم؟ وما هو الذي يحطمونني به ؟

فقال: أنه كتاب لعبة الأمم. سيحطموك به كتبه مايلز كوبلاند.

فقلت له: أنني لم أقرأه ولم أعرف بصدوره.

ثم عاد قائلاً : لا ..هم عايزين يحطموك يا حسن.

فقلت له: إذن . سنقوم باستدعاء مايلز كوبلاند إلى مصر لنعرف الحقيقة.

فرد بقوله: لا.. لا تستدعيه ولا تتصل به.

فقلت: نطلب منه تصحيح أي خطأ.

فقال: لا .. لا تطلب منه شيئاً.

فعدت أقول: إذن نستدعيه إلى مصر.

فقال: لا تتصل به.. وأنا سأضعه على قوائم المنوعين من دخول مصر.

فتعجبت جداً من هذا الكلام وتَجَنُّب مواجهة كوبلاند حتى بدت لي في تلك الآونة أنه يحمل نية مبيته .

وبالفعل فقد منع عبد الناصر أي رد على الكتاب ومنع أي اتصال بمايلز كوبلاند عن طريقي في الوقت الذي تُرْجِم فيه الكتاب إلى اللغة العربية وتم نشره في العالم العربي.

وفي عام ١٩٧١ حيث كنت طريح الفراش للعلاج في مستشفى أوروبي باليونان . وعلم مايلز كوبلاند بوجودي واستأذني في الحضور من لندن خصيصاً لمقابلتي وحيث قال لي أيضاً : أنني علمت أنك في غاية الغضب مني منذ زمن ولكنني أصر على

الحضور لأشرح لك موقفي واعتذر عما جاء بكتابي لعبة الأمم ولأعرض عليك حقائقه.

وبالفعل حضر مايلز كوبلاند في مساء اليوم التالي في المستشفى التي كانت تقع في أطراف أثينا بسيارة من سيارات السفارة الأمريكية وجلسنا في حديقة المستشفى لمدة ساعة زمنية واحدة حيث كان موجز حديثه بعد اعتذاره تتلخص في عدة نقاط أجاب عليها بصراحة فقال: إن كل ما نشر في كتابه لعبة الأمم قد وافق عليه عبد الناصر وإن هذا الكتاب قد أعد على عجل بعد هزيمة يونيو 1967 وأن هناك نسخة طبق الأصل ومعدَّله للكتاب والذي خرج للنشر كانت طرف عبد الناصر قبل صدورها بست شهور من خلال سامي شرف وإن عبد الناصر لم يعترض على كلمة واحدة من هذا النص المعدل بل طلب إليه خروج الكتاب بأسرع وقت. [1]

وثائق عبد الناصر تشهد بصلته بكوبلاند

نشرت د. هدى عبد الناصر ابنة الرئيس عبد الناصر وثائق أبيها مؤخراً وكان من بين هذه الوثائق رسالتان أرسل بهما حسن التهامي إلى عبد الناصر حول ما ورد في كتاب مايلز كوبلاند عن نشاط الأمريكيين في مصر عام ١٩٥٣ في ٧، ١٢ / ١٠ / ١٩٦٩.

ومما جاء في الرسالة الأولى : " بعد قيام الثورة في يوليو ١٩٥٢ بفترة وجيزة وحوالي شهر أغسطس ١٩٥٢ حضر إلى مصر مايلز كوبلاند ومعه المحلق العسكري السابق لأمريكا في إيران طلبا مقابلة السيد زكريا محيي الدين وذلك عن طريق السفارة الأمريكية وقابلا سيادته وعرضا عليه عرضاً للتعاون علمت بعضه فيما بعد وكان من بين هذا التفاهم أو عرض الخدمات أن عرضا إقامة اتصال تعاوني بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين رئيس الجمهورية وقتئذ محمد نجيب ليتسنى بذلك

([1]) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثالث عشر: فصل أخير على الطريق !! " في كتاب محمد الطويل " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

وسيلة للاتصال والتعاون على مستوى رئاسة الجمهورية وبعيداً عن التعامل الدبلوماسي وبدون علم البعثة الدبلوماسية الأمريكية في مصر أو درايتها عن التفاصيل وطلبا اختيار أحد رجال الثورة الموثوق فيهم وفي إخلاصهم للجمهورية لكي يكون هو وسيلة الاتصال اليومية ، وبعد هذه المقابلة طلبني السيد زكريا محيي الدين وأفهمني باختصار أنني قد وقع عليَّ الاختيار لأكون حلقة التعاون والاتصال وعرفني على ذلك الشخص ... وعلمت فيما بعد أنهم مندوبان عن جهاز المخابرات المركزي الأمريكي ... ولم يكن اتصالي في الواقع حتى خلال العمل كسكرتير رئيس الجمهورية محمد نجيب إلا في أقل الحدود وكان عملي واتصالي بطبيعة الحال في أكثره مع السيد زكريا محيي الدين باعتباره رئيس لجهاز المخابرات العربية وباعتباره المتبني الأصلي لهذا المشروع بصفته تلك ، وإقراراً للحق لم يكن اتصالي بهذه المجموعة من الأمريكان إلا في حدود إجابة متطلباتنا نحن أي خدمة لمصالح مصر وبعد فترة من الزمن لم يقتصر كوبلاند على حضوره منفرداً ولكنه بدأ يحضر معه كيرميت روزفلت الذي علمنا فيما بعد أنه المسئول عن مخابرات الشرق الأوسط السياسة وآخرين بعضهم من الجهاز السياسي وبعضهم من جهاز المخابرات المركزية ... كان من المهم الاستمرار في وجود حلقة الربط التي أنشئت بواسطتنا وبتكليف لنا ولتجنب توريط أي من قادة الثورة الظاهرين في مثل هذه الاتصالات . وتبلورت أهمية استمرار هذه الفكرة كما يسجل التاريخ وكما تعرفون سيادتكم عندما بدأت مفاوضات الجلاء عن مصر برئاسة سيادتكم وبعد تنحية محمد نجيب خاصة عندما تعثرت المفاوضات وتوقفت لإصرار الوفد البريطاني على نقاط معينة أذكر منها نقطة " إمكانية عودة القوات البريطانية لقاعدة القناة والفترة المحددة لجلاء القوات البريطانية " وكثرت في تلك المرحلة اتصالات كوبلاند وروزفلت بنا وحضورهم إلى مصر وكان معهم في بعض الأوقات مندوبين آخرين ولقائهم مع سيادتكم ومعنا لإقناعهم بوجوب الضغط على بريطانيا وهي حليفتهم للانسحاب من قنال السويس ... أذكر جيداً أن كوبلاند حضر إلى القاهرة في اليوم السابق لوصول وزير الدولة البريطاني انتوني ناتنج على

رأس بعثة المفاوضات وكان كوبلاند يحمل رسالة شفوية إلى سيادتكم أبلغنا بها وكان مضمونها أنه تم الضغط على الحكومة البريطانية لقبول شروط مصر في التفاوض"(1)

كما تطرَّقت الرسالة لدور كوبلاند في محاولة حل الأزمة بين عبد الناصر وأمريكا بخصوص مد أمريكا مصر بالأسلحة الدفاعية بعد غارة إسرائيل على غزة في فبراير ١٩٥٥ م يقول التهامي في رسالته " كلفت بالتوجه إلى واشنطون لمعرفة النوايا المبيتة وموقف الولايات المتحدة الأمريكية الحقيق تجاه مصر ورتَّب لي كيرميت روزفلت وكوبلاند مقابلة مع وكيل وزارة الخارجية الأمريكية .. وأعقب تلك المقابلة مقابلة أخرى مع أحد جنرالات البنتاجون .. وبعد هذه المقابلة عدت فوراً إلى القاهرة وكان كوبلاند يودعني في المطار .. ورجاني أن نمهلهم فترة أسبوع واحد لكي يكملوا اتصالاتهم وينعوا المسئولين بالتجاوب مع طلباتنا .. وحضر إلينا كيرمت وكوبلاند منزعجان من احتمال تطور الموقف وبالخبث الأمريكي حاولا إقناعنا بتقبل الصدمة وعدم الانفعال ومحاولة إصلاح الموقف مستقبلاً " (2)

وفي الرسالة الثانية يتحدث التهامي عن موضوع ثلاثة الملايين دولار التي سيأتي الحديث بعد ذلك .

هل بعد هذه الوثيقة بإمكان أحد نفي علاقة عبد الناصر وحسن التهامي بكوبلاند ، وعلاقة كوبلاند بالمخابرات المركزية الأمريكية ، وبالمناسبة كل ما ذكره حسن التهامي عن كوبلاند في هذه الوقائع ذكره كوبلاند في كتابه دون اختلاف يذكر .

يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته الشهيرة

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ	وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

(1) لمزيد من التفاصيل راجع نص الرسالة د. هدى عبد الناصر " جمال عبد الناصر ، الأوراق الخاصة " ج ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٢٤ – ٢٢٧ .
(2) نفسه ص ٢٢٩– ٢٣١ .

شهادة نائب رئيس المخابرات حول حسن التهامي

يقول عبد الفتاح أبو الفضل نائب رئيس المخابرات المصري في مذكراته : " حسن التهامي كان منذ بداية الثورة يعمل موظفاً بالمخابرات في عمل خاص مكلف به من عبد الناصر . هذا العمل لم نعرف به إلا مؤخراً بعد إرغام حسن التهامي على مغادرة هذا المكان (الدور الأول من برج القاهرة) وكان مسئولاً أمام الرئيس عبد الناصر عن مراقبة تليفونات أعضاء مجلس الثورة والوزراء والشخصيات ذات الصفة العامة وأنه يسجِّل هذه الأحاديث لعرضها على عبد الناصر فقط .

وكانت النتيجة أنه قام بتسجيل أحاديث عبد الناصر نفسه ، وكانت حجَّة حسن التهامي عندما طالبوه بإخلاء القلعة (الدور الأول من برج القاهرة) أنه هو صاحب الفضل الأول في الحصول على تكاليف البرج من الأمريكان .[1]

وكان من المفروض أن يُجَازى حسن التهامي على الأقل بإبعاده عن المراكز الحساسة بعد كشف عملية التجسس على مكالمات الرئيس عبد الناصر . وهنا يثور التساؤل لمصلحة وحساب من كانت تسجل مكالمات رئيس الجمهورية ؟! ومع ذلك فقد نُقِل حسن التهامي مُعَزَّزاً مُكَرَّماً للعمل برئاسة الجمهورية وفي أعمال لا يعلمها أحد " [2]

ولكن لماذا كان لحسن التهامي هذه المنازلة الخاصة لدى عبد الناصر ، تلك المنزلة التي جعلت عبد الناصر الذي كان يأخذ الناس بالشبهات يتغاضى عن جريمة ارتكبها التهامي في حقه شخصيّاً ، وما تلك الأعمال الغريبة التي يقوم بها التهامي لصالح عبد الناصر والتي لم تكن المخابرات المصرية تعرف عنها شيئاً ؟! ويزيد عبد الفتاح أبو الفضل نائب رئيس المخابرات المصرية الأمر وضوحاً فيقول عن نشأة المخابرات

---

(1) يشير التهامي إلى ثلاثة الملايين دولار التي قدمتها المخابرات الأمريكية هدية لعبد الناصر ليتصرف فيها كيف شاء وتسلمها نيابة عنه حسن التهامي ، وهذه الأموال هي التي بني بها برج القاهرة . لمزيد من التفاصيل حول هذه راجع كتاب اللواء عادل شاهين وكيل جهاز المخابرات العامة الأسبق "برج القاهرة أول مهمة قومية للمخابرات العامة المصرية " .

(2) عبد الفتاح أبو الفضل " كنت نائباً لرئيس المخابرات " كتاب الحرية دار الحرية ص ٢٠٨

المصرية : " وحسب معلوماتي وقتها فإن حسن التهامي فقط هو الذي كان يتصل بالأمريكان ." [1]

يقول نائب رئيس المخابرات تحت عنوان " الاستفادة من المتخصصين الأمريكان سنة ١٩٥٣ " وأثناء التطوير (تطوير جهاز المخابرات المصرية) وإعادة التنظيم أمكن للزميل حسن التهامي عضو المخابرات والذي كان على علاقة مع أحد المخابرات الأمريكية ، واسمه مايلز كوبلاند . أن يستدعي مجموعة من خبراء أمريكان في علم المخابرات .

قامت المخابرات المصرية بتجهيز منزل أمن لهم بالقرب من شارع الهرم وتكوَّنت المجموعة المصرية من أربعة ضباط مخابرات فقط لعقد ندوات مع طاقم المخابرات الأمريكية في جميع التخصصات لمدة ثمانية أشهر .

وكان من المفروض أن يتلقى حسن التهامي المحاضرات معهم ولكنه كان يحضر من وقت لآخر بمصاحبة مايلز كوبلاند (وهو المؤلف المشهور لكتاب لعبة الأمم) أثناء هذه الدورة . وبانتهاء الحلقات أو الندوات انقطعت صلة هؤلاء الخبراء الأمريكان كلية بجهاز المخابرات والمجموعة المصرية ." [2]

وإن كان الخبراء الأمريكان قد انقطعت صلتهم بجهاز المخابرات المصرية فإن كوبلاند وغيره من رجال المخابرات الأمريكية لم تنقطع صلتهم بحسن التهامي وبعبد الناصر وحسنين هيكل .

لماذا سمح عبد الناصر بنشر كتاب " لعبة الأمم " ؟

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يوافق عبد الناصر على السماح لكوبلاند بنشر كتابه " لعبة الأمم " وهو الكتاب الذي يؤكد علاقة المخابرات الأمريكية بعبد الناصر قبل الثورة وبعدها ويؤكد ودور المخابرات الأمريكية في نجاح الثورة وطرد الملك وجلاء

([1]) عبد الفتاح أبو الفضل " كنت نائباً لرئيس المخابرات " كتاب الحرية دار الحرية ص ٢١٤

([2]) عبد الفتاح أبو الفضل " كنت نائباً لرئيس المخابرات " كتاب الحرية دار الحرية ص ٢١٥ .

الإنجليز ووصول عبد الناصر إلى الحكم ، وإفشال العدوان الثلاثي ، وتثبيت عبد الناصر زعيماً للعرب ودول العالم الثالث ، والمساعدات الأمريكية الاقتصادية الكبيرة لنظام عبد الناصر وأشهرها معونة القمح السنوية .

الحقيقة أن عبد الناصر كان يريد أن يضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد بسماحه لكوبلاند بنشر هذا الكتاب دون تعديل أو إضافة :

١- محاولة عبد الناصر كسب ثقة الأمريكان مرة ثانية باعترافه بفضلهم عليه وعلى نظامه بعدما قطع علاقته بأمريكا رسميّاً بعد هزيمة يونيو ، وجحوده لفضلها عليه ، وخاصة دورها في إفشال العدوان الثلاثي على مصر ووقوفها مع عبد الناصر ضد حلفائها الثلاثة : انجلترا ، وفرنسا ، وإسرائيل .

وكان تعيين حسن التهامي وزيراً بعد هزيمة يونيو مما فعله عبد الناصر في سياق إعادة العلاقات والثقة بأمريكا والتي كانت قد ساءت ووصلت لمرحلة العداء مما ترتب عليها هزيمة يونيو ، كما كانت موافقته على تعيين السادات ذي الميول الأمريكية نائباً لرئيس الجمهورية ، والموافقة على اتفاقية روجرز الأمريكية قمة تنازلات عبد الناصر للصلح مع أمريكا .

٢- إنذار شديد اللهجة للاتحاد السوفيتي إن لم يقف معه بكل قوة في معركته ضد إسرائيل لاسترداد الأرض العربية فإنه سيعود سيرته الأولى حليفاً للأمريكان .

٣- محاولة استمالة الشعوب العربية عامة والمصرية خاصة للتمسك بزعامته بعدما زلزلت هزيمة يونيو وضياع الأرض العربية تلك الزعامة وخروج مظاهرات العمال والطلبة في سنة ٦٨ تندد بحكم عبد الناصر واستبداده . وذلك لأن عبد الناصر قد نجح خلال فترة الستينات في تصعيد حملة الكراهية للسياسة الأمريكية ؛ لممالأة الاتحاد السوفيتي لتقديم المزيد من المساعدات لمصر من جهة ، ولكسب تعاطف الشعوب العربية من جهة أخرى حيث إنها ترى أن إسرائيل هي بلطجي أمريكا في

المنطقة العربية وأن عبد الناصر هو الشرطي الذي سيقتله أو يودعه السجن لدرجة أن كل تصريح لمسئول أمريكي أو إنجليزي ضد عبد الناصر كان يزيد من شعبيته ، وقد صرَّح رجال عبد الناصر أن عبد الناصر كان شديد الحرص على سماع إذاعة لندن والإذاعات الأمريكية ولا يستريح إلا عندما يسمع هذه الإذاعات تهاجمه بشراسة فقد كان ، عنده ، هذا يعني مزيداً من تأييد الشعوب العربية له ومباركة لقراراته .

وكان من أهم أسباب خروج الناس لتأييد عبد الناصر يومي ٩، ١٠ يونيو ٦٧ هو تصريحه في خطاب التنحي أن إسرائيل وحليفتها أمريكا ما قاما بالعدوان على مصر واحتلال أرضها إلا لإسقاط نظامه ، وأن قبول الشعب بتنحي عبد الناصر يحقق لهما ما أرادا من هزيمة يونيو ، وأن بقاءه في الحكم يؤكد فشل العدوان على مصر، وصح ظن عبد الناصر وخرجت الملايين لتبايع الرئيس المهزوم !

وبنفس هذا المنطق سمح عبد الناصر لكوبلاند ، وهو صديقه الذي يطلب وُدَّه يتضح ذلك تماماً في رسائله له ولهيكل ، أن ينشر كتابه " لعبة الأمم " على أساس أن نشر الكتاب يعتبر جزءاً من حملة صهيونية أمريكية غربية ؛ لتشويه صورة عبد الناصر أمام العالم الغربي والعربي مما يزيد من شعبيته وتمسك الشعوب العربية به وبزعامته ، فلا يعقل ، لدى ، الشعوب العربية أن يكون ما جاء في هذا الكتاب صحيحاً فعبد الناصر عدو أمريكا الأول في العالم كان حليفاً لأمريكا !! وأن أمريكا عدوة العرب الأولى كانت تساعد عبد الناصر طوال حكمه !! هذا مما لا يصدقه عقل، ولا يخطر ببال عربي أبداً حتى وإن كان لا يحب عبد الناصر .

كما أن عبد الناصر منع توزيع الكتاب في مصر ، لذا لن يقرأه إلا العشرات ممن من يقع الكتاب في أيديهم ويستطيعون قراءته بالغة الإنجليزية ، ولن يستطيع هؤلاء إن كانوا من المؤيدين لعبد الناصر فإنهم سيتهمون الكتاب وصاحبه بالكذب والتضليل ، وإن صدَّقوا ما جاء فيه فأن يستطيعوا أن يهجروا كتابة ولا قولاً بما جاء في الكتاب

وإلا عرضوا للذهاب وراء الشمس ، والخلاصة أن هذا الكتاب لن يكون ذا تأثير على المصريين ، وإن أثر فسيكون تأثيره إيجابياً حيث يعتبره الناس أنه دعاية أمريكية سوداء ضد الزعيم الوطني عدو الإمبريالية الأمريكية .

وهذا ما صرَّح به كوبلاند نفسه في إحدى رسائله لهيكل : " وعلمت أن بعض أصدقائي المصريين وأنت (يقصد هيكل) منهم يظنون أن كتابي " لعبة الأمم " والبرامج الإذاعية التي ارتبطت به وغيرها من الأنشطة المتصلة بذلك كلها معادية لمصالح الجمهورية العربية المتحدة وهو أمر غريب لأن الصهيونيين ومن يتعاطفون مع الصهيونية سواء في انجلترا أو الولايات المتحدة يصرون على أن كتابي جزء من مؤامرة موالية لعبد الناصر ، وأنه دعاية ماكرة مؤيدة لعبد الناصر ، وذلك في الواقع هو المقصود به . "

وهذا ما أكدَّه كوبلاند لحسن التهامي في لقائه به في المستشفى " : إن كل ما نشر في كتابه لعبة الأمم قد وافق عليه عبد الناصر وإن هذا الكتاب قد أعد على عجل بعد هزيمة يونيو 1967 وأن هناك نسخة طبق الأصل ومعدله للكتاب والذي خرج للنشر كانت طرف عبد الناصر قبل صدورها بست شهور من خلال سامي شرف وإن عبد الناصر لم يعترض على كلمة واحدة من هذا النص المعدل بل طلب إليه خروج الكتاب بأسرع وقت. [1]

هذه شهادة حسن التهامي صديق عبد الناصر الصدوق والذي كان مديراً لمكتبه في بداية الثورة ، ثم كان مسئول المخابرات بعد ذلك وقد أسند إليه عبد الناصر العديد من المهام أثناء حكمه وبعد هزيمة يونيو أبقاه عبد الناصر بجانبه يمده بالنصح للخروج من أزمة الهزيمة لما يعلم من إخلاصه الشديد له وجرأته في الحق ، وبعدما اكتشاف

([1]) لمزيد من التفاصيل الفصل الثالث عشر: فصل أخير على الطريق !! " في كتاب محمد الطويل " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

خيانة كثير ممن كان يعتمد عليهم في حكمه له مثل : صلاح نصر، وشمس بدران وغيرهما ممن تحالفوا مع عبد الحكيم ضده وهو الذي كان يظنهم عيونه على عبد الحكيم . وبعدما فقد الثقة في كثير ممن ساعدوه في الحكم واكتشف أنهم غير مخلصين إنما يعملون من أجل مصالحهم الخاصة مثل : على صبري ومجموعته .

لذا فور نشوب أحداث هزيمة يونيو بادر عبد الناصر بالاتصال بأعضاء مجلس قيادة الثورة الذين استبعدهم في السنوات الأخيرة بسبب كثرة اعتراضهم على سياسته وهم : عبد اللطيف بغدادي ، وكمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم ليكونوا معه أثناء المعركة . [1]

كما بادر بالاتصال بالمخلصين من رجاله القدامى الذين وقفوا معه في الأزمات التي مر بها وطلب نصحهم مثل : أحمد طعيمه ، وحسن التهامي .[2]

وهذا ثابت في مذكرات كل من ذكرْتُ اسمه أو في أحاديثه المنشورة .

***

(1) لمزيد من التفاصيل حول هزيمة يونيو راجع كتابنا " هزيمة يونيو ٦٧ ، وتحديد المسئولية " دار زهور المعرفة والبركة .

(2) لمزيد من التفاصيل حول علاقة عبد الناصر بأحمد طعيمه راجع كتاب الأخير " كلمة حق " ، ولمعرفة المزيد عن علاقة عبد الناصر بحسن التهامي راجع كتاب " عبد الناصر ولعبة الأمم " محمد الطويل .